

## تقرير

شوقي عشقوني  
lionbars@hotmail.comخطة ترامب تقضي بجعله وطناً بديلاً للفلسطينيين  
الأردن: مأزق استراتيجي وحاجة إقليمية

يجتاز الاردن مرحلة دقيقة وصعبة. هذا البلد المثقل بالمشاكل والضغوط افلت من براثن الربيع العربي، ولكنه دخل متأخراً في معمعة الشارع والحركة المطالبية والفوضى الداخلية لاسباب كثيرة، منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي وخارج عن السيطرة. لكن رغم كل المخاطر، يبقى الاردن حاجة اقليمية، ومؤثراً جداً في معادلة الاستقرار والتوازن في المنطقة

تحولت الانظار موقتا حتى اشعار آخر في اتجاه الاردن الذي كان الوضع فيه لاسباب مشابهة لاوضاع ومشاهد عربية شكلت قبل سنوات مقدمات لثورة على النظام او لحرب داخلية. التظاهرات الشعبية عمت ارجاء المملكة وتخللتها صدامات مع قوى الامن وصيحات "الشعب يريد...". اللافت او المقلق في هذه التظاهرات ان الازمة المنتقلة الى الشارع اخذت منحى سياسيا وان كانت شرارتها اقتصادية - اجتماعية، وان المعارضة استمرت بعد استقالة الحكومة، ما يعني ان تغيير الأشخاص لم يعد كافيا لاحتواء الازمة، والمطلوب صار تغيير النهج، وان الحركة الشعبية لم تعد موجهة حصراً ضد الحكومة، وانما بدأت تطاول مجمل النظام الذي طالما عرف بأنه أكثر الانظمة استقراراً وثباتاً في المنطقة.



الازمة الاقتصادية - الاجتماعية عامل مفجر لكنها ليست كل شيء.

الاردني الراهن. الازمة السورية لها حضور وتأثير، وهي احد مكونات هذا المأزق، وحيث تتضاءل وتنحصر مساحة المناورة والتملص والتوفيق بين الثوابت (الحل السياسي وعدم التورط عسكرياً) والمتغيرات والضغوط المتلاحقة من الحلفاء في ظل وضع داخلي بالغ الحساسية سياسياً واقتصادياً.

يرى محللون في عمان ان الاردن يواجه جملة تحديات، وهو يبحث في السيناريوهات المحتملة حيال تطورات الازمة السورية التي يبدو واضحاً انها تأخذ طريقها الى الترجمة ارضاً. يمكن حصر هذه التحديات بخمسة، هي الأكثر الحاحاً وضغطاً على عمان:

• التحدي الداخلي، اي تماسك الجبهة الداخلية وتمتينها. فالمشهد سياسياً متشظ حيال الموقف من العلاقة مع النظام السوري، وكذلك من التدخل العسكري، خصوصاً البري منه. الاردنيون منقسمون بحدة منذ سنوات، الى حد التخوين المتبادل، على المستويين الشعبي والنخبوي حيال الموقف من النظام السوري.

• الجماعات الجهادية المتطرفة، وخصوصاً فصيل خالد بن الوليد المتمركز قرب الحدود مع الاردن، التي لديها خلايا امنية وارهابية في الداخل الاردني.

• الميليشيات الصديقة للنظام السوري والموالية لايران، وخصوصاً حزب الله والميليشيات العراقية، والاييرانيين انفسهم. يمكن تحييد هذه الميليشيات عبر القناة الروسية.

• الدور الاسرائيلي في محيط القنيطرة واطراف درعا. لاسرائيل مصلحة في منطقة امنية حدودية شبيهة بالشريط الحدودي مع لبنان.

• مقدرة المملكة على الاستجابة للضغوط الاميركية والخليجية للتورط. هذه الضغوط مصحوبة بسياسة العصا والجزرة عبر بوابة الدعم الاقتصادي للبلد الذي يبرز تحت ضغط مديونية غير مسبوقة.

للاردن سياسة متميزة منذ اندلاع الازمة السورية، اذ كان حريصاً على وحدة سوريا ومؤسسات الدولة السورية، ومهتماً بالاستقرار في الجنوب السوري. لكن لديه مخاوف امنية وهواجس



لاردن تحديات في الازمة السورية وسياسته متميزة.

اقتصادية وحسابات سياسية مغايرة لما تراه دمشق. يجزم الاردنيون بأن التوافقات ستفضي الى صفقة كبرى دولياً واقليمياً، ابرز ملامحها: طبيعة الحل السياسي في سوريا، هل تذهب الى فيديريالية مكونة من مناطق خفض التصعيد الاربعة ام دويلات في هذه المناطق؟ كذلك ما سيحصل في العراق في ظل التفاهم الروسي - الاميريكي على جعل سوريا منطقة نفوذ استراتيجي روسي، والعراق منطقة نفوذ اميريكي، مع مراعاة مخاوف تركيا وايران من تشكل كيان كردي شمال سوريا وآخر في العراق.

هذه الصفقة الكبرى لا تقتصر على سوريا والعراق، وانما تمتد اقليمياً لتشمل حل النزاعات في اليمن وليبيا، ولا تنتهي عند عودة الفلسطينيين واسرائيل الى طاولة المفاوضات.

عملية السلام، مسار الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي ومصيره، التسوية الكبرى في المنطقة او ما بات يسمى صفقة القرن، كلها تطورات وعوامل تؤثر في الاردن وتضعه تحت ضغوط المساومات والمفاوضات، وهو البلد الذي تسكنه اكثرية من اصول فلسطينية، وطالما عرف بانه الوطن البديل.

في لقاء جرى بين الملك عبدالله الثاني وشخصية لبنانية رسمية في وقت سابق، قال العاهل الاردني كلاماً مقلماً ومحفزاً من خطر التوطين المقبل، وما يرسم في المنطقة لجهة حل معضلة اللجوء الفلسطيني على حساب الدول التي يوجدون فيها مع فارق جوهري هذه المرة هو ان ادارة الرئيس دونالد ترامب لا تريد ان تدفع ثمن ذلك لاحد.

الملك المتوجس مما يتم حيالته في الغرف المغلقة،

تحدث بصراحة محذراً من ان ترامب لن يعطي احداً انذاراً مبكراً. فهو ببساطة سيقف عندما تنضج الظروف ليفرض الصفقة الكبرى من دون ان يكون معنياً بخوض مفاوضات عميقة مع الاطراف. هو ببساطة سيضع الجميع امام الامر الواقع وسيقول لهم هذه هي الخطة وعليكم التنفيذ.

ووفقاً للمعلومات، يتوقع الجانب الاردني ان تكون صفقة ترامب جاهزة قريباً، ووصف الملك الاردني خطة الرئيس الاميريكي بالسيارة المندفعة من دون مكايح، ناصحاً بعدم الوقوف امام تطمينات البعض والتي تقول ان الادارة الاميركية لا تملك خطة حقيقية. كان لافتاً قول الملك ان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان مطلع على الخطة أكثر منه، وهو يعمل على تسويقها مع الرئيس محمود عباس الذي يحاول التملص لكن من دون جدوى حتى الان.

ووفق تلك المعلومات، فإن الاخطر في كلام العاهل الاردني كان في حديثه عن الجزء المسرب من الخطة والتي تقوم على تقديم الفلسطينيين 10 في المئة من اراضي الضفة لاسرائيل في مقابل تنازلات اسريالية شكلية تجعل من الاراضي الفلسطينية مقطعة طولاً وعرضاً، غير قابلة لاستيعاب سكانها. في ما يتعلق بالقدس، لا تتحدث الخطة عن ابو ديس كعاصمة فلسطينية، بل عن احياء في القدس، ولارضاء الفلسطينيين لا يوجد طلب مباشر بالاعتراف باسرائيل دولة يهودية، ولكن في مقابل ذلك سيكونون مطالبين بالتخلي عن حق العودة. هنا بيت القصيد الذي يس لبنان بشكل مباشر، لذلك دعا الملك الاردني الى الاستعداد للقبول بالامر

الواقع وابداح حلول واقعية لازمة اللجوء السوري، لان ازمة اللجوء الفلسطيني ستطول، ولن يتمكن لبنان من تجاوزها على المدى الطويل، مشيراً الى ان الاردن يمضي في هذا الاتجاه.

اوساط سياسية كانت تحدثت عن جانب آخر لما حدث في الاردن يتعلق بتخلي دول اقليمية عن دعمه، في اشارة الى توقف المساعدات السعودية والاماراتية التي كانت تصل لدعم الموازنة سنوياً، وسط حديث بين النخب الاردنية عن ثمن سياسي مطلوب من الاردن في ملفات اقليمية تتعلق اساساً بصفقة القرن وموقف الاردن من القدس والقضية الفلسطينية.

تحدثت هذه الاوساط عن حالة من القلق انتابت النظم الخليجية جراء الوضع في الاردن، خشية انتقال عدوى الاحتجاجات الى مثل هذه الدول التي تسخر كل طاقتها وامكانياتها لترسيخ اركان حكمها مهما كان الثمن، اسوة بما حصل في دول الربيع العربي التي لعبت تلك العواصم دوراً محورياً في اجهاضها بشتى الصور. من ثم، فان ما يحدث في المملكة من انتفاضة شعبية وصلت هتافاتهما في بعض المدن الى اسقاط النظام، وهو الشعار الذي ربما يحمل في ثناياه دلالات خطيرة، فسرت وبشكل واضح الاستجابة السريعة لمطالب المحتجين، كان له اثر بالغ على الجيران والحلفاء.

القلق الخليجي حيال تلك الاحتجاجات دفع الى اعادة النظر في مواقف الدول التي اوقفت دعمها للاردن، في اطار استشعار القلق مما حدث ولا تزال اصداؤه على الارض، ومن ثم كان التدخل لانقاذ الوضع قبل تفاقم الامور بما لا يمكن السيطرة على تمددها الذي ربما قد يتجاوز الحدود الجغرافية، وهو الكابوس الذي يؤرق مضاجع الانظمة الخليجية، لاسيما السعودية والامارات منذ العام 2011 وحتى الان.

يبدو ان العامل الاهم الذي شكل تطورا ايجابياً مساعداً على تخطي الازمة تمثل في مد يد العون الخليجية الى الاردن من خلال الدعوة السعودية الى قمة عاجلة من اجل الاردن، حضرها قادة السعودية والامارات والكويت والاردن، وعقدت في مكة المكرمة. هذه القمة الانقاذية عكست اهمية الاردن الجيو - استراتيجية بالنسبة الى دول الخليج كبلد مجاور يشكل مساحة عازلة وفاصلة بين الخليج وكل من سوريا والعراق حيث النفوذ الايراني القوي.